
دعوة الإسلام إلى العلم

د/ محمد ورنيني - جامعة الأغواط -

الجزائر

إن الإسلام يدعو إلى العلم ويرغب فيه، ويحث على التعلّم واحترام وتقدير العلماء حق قدرهم. فتراث الأمة العربية الإسلامية يرفع من درجة العلم والعلماء، حيث ازدحمت أسفار التفسير وجوامع الحديث وكتب الأدب، ودواوين الشعر بما يُترجم عما تُكِنُّه ضمائر قادة الأمة وعلمائها وأدبائها وشعرائها وفلاسفتها وحكمائها من إكبارٍ لمكانة العقل والعلم وفضل العلماء والتعليم.

ونحن نريد أن نظهر الموقف الإسلامي تجاه العلم والعلماء على حقيقته، من خلال عرض الآيات الكريمة والأحاديث النبوية، وسيرة السلف الصالح بهدف تعزيز معنويات شبابنا المسلم قبل غيره، ليقف ثابت الأقدام في وجه الغزو الثقافي الغربي الذي يستهدف تدمير مقدساتنا؛ بل تدمير وجودنا في حد ذاته.

• العلم والعلماء ومكانتهما في القرآن الكريم :

تتجلى مكانة العلم في تاريخ أمتنا بأعلى صورة في العقيدة الإسلامية، ويؤكد ذلك ما جاء في الآيات القرآنية التي تقدّس العلم وتُظهر أهميته للحياة الدنيوية والدينية، وليس أدلّ على ذلك من وصف الله تبارك وتعالى ذاته في

الكتاب الحكيم بالعالم والعليم والعلّام والأعْلَم ، والذي وسع كل شيء علماً، والذي أحاط بكل شيء علماً، وهو جل جلاله الذي أتى الأنبياء حُكماً وعلماً ، والعلم عند الله تعالى يعلمه من لدنه قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾⁽¹⁾.

وقال أيضاً: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾⁽²⁾.
ومن إجلال الله سبحانه للعلم أن سمّاه بالحكمة، ونعّته بالخير الكثير قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾⁽³⁾، وقد رفع الله من مكانة العلم حيث ذكر سبحانه أولي العلم بعد الملائكة قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾⁽⁴⁾.

وقرّهم بنفسه في قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾⁽⁵⁾.

كما جاء في القرآن المجيد أيضاً تكريم العلماء بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾⁽⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾.
ولعلّ أجل تكريم للعلم ما جاء في سورة آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾⁽⁸⁾.

كما جاء كذلك التأكيد الربّاني لأهمية العلم وقوة سلطانه في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾⁽⁹⁾ والمقصود هنا سلطان العلم.

وقد وعد الله تعالى أصحاب العلم بالدرجة الرفيعة قال جل وعلا: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾⁽¹⁰⁾ وقد فرّق سبحانه بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽¹¹⁾.

وفي موضع آخر في كتاب الله ، مَيَّزَ الله تعالى الملك طالوت عن غيره من بني إسرائيل بالعلم الذي كان بديلاً عن المال حيث قال: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾⁽¹²⁾. وكان العلم أحد الدعائم التي استند عليها يوسف -عليه السلام- في طلب توليته على خزائن الأرض قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹³⁾ ووصف القرآن العلماء بأقرب العباد إلى خشية الله وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽¹⁴⁾.

• العلم والعلماء ومكانتهما في الحديث الشريف:

إن منزلة العلم في الحديث الشريف منزلة رفيعة مبهجة، فالعلماء ورثة الأنبياء، وهم أقرب البشر إلى درجة النبوة، فطلب العلم فريضة، ومن أخذه أخذ بحظٍّ وافر من الخير، قال رسول الله ﷺ «وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَرَثُوا الْعِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»⁽¹⁵⁾.

وإن فضل العالم على العابد كفضل النبي على أدنى رجل من الصحابة، وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ الْعَالَمِينَ محمد ﷺ الذي وصف العلماء بإحدى الفئات الثلاث التي تشفع في غيرها يوم

القيامة، ولا خير في عبادة لا علم فيها. وكان النبي ﷺ يأمر الناس بالعلم والتعلم ويقول: «وَأَتِمَّا الْعِلْمَ بِالْتَّعَلُّمِ»⁽¹⁶⁾.

وشبه النبي ﷺ العلم والهدى الذي أنزله الله بالغيث الذي يصيب الأرض فتتهتر وتربو وتنبت من كل زوج بهيج.

والعالم خليفة الله في الأرض، وتظلل الملائكة طالب العلم بأجنحتها. ووصف النبي ﷺ العلماء بالخلفاء، مثلهم في الأرض كمثل النجم في السماء يهتدي بنوره في ظلمات البر والبحر.

وكرم الله عز وجل ابن آدم بأن ينقطع بعد موته من كل شيء إلا من ثلاث، ألا وهي الصدقة الجارية والابن البار الذي يدعو لوالده، وعلم ينتفع به. كما جاء في الحديث أيضا قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ مُعْتَنِيًّا، وَلَا مُتَعَتًّا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيسِّرًا»⁽¹⁷⁾ وليس أدل على أهمية مكانة العلم في السيرة النبوية من وصف الرسول ﷺ نفسه بالمعلم.

إن المكانة الرفيعة للعلماء في الإسلام تتضح من وصفهم بورثة الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»⁽¹⁸⁾، ونبينا عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم أوصى بتبجيل العلماء لأنه من إجلال الله تعالى.

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «أنا عبد من علمني حرفا إن شاء باع وإن شاء استرق»، ثم قال: «من علمك حرفا واحدا مما تحتاج إليه في أمر الدين، فهو أبوك في الدين»⁽¹⁹⁾.

ويقول الإمام علي-رضي الله عنه- وهو يخاطب أبا الأسود الدؤلي: «ليس شيء أعز من العلم؛ الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك»⁽²⁰⁾.

هذا وقد سار الخليفة **عمر بن الخطاب** -رضي الله عنه- على نهج القرآن والسنة حيث كان يرسل على رأس كل بعثة من المدينة إلى أي إقليم آخر (الأمير والوزير والمعلم)⁽²¹⁾، وذلك تأكيداً على سُمُو مكانة المعلم في الدولة الإسلامية.

إن للمعلم في التراث الإسلامي كيانه عظيمًا، وإن للتعليم رباطاً روحانياً مُحْكَمًا يمثل النهج القرآني كما تمثله أحاديث الرسول ﷺ. وتمتد مسيرة تكريم المعلم في أثناء حياته وبعد مماته حيث تحتشد جموع المشيعين عند وفاته، وتقف الحوانيت وتعطل الأعمال ويعم الحزن والحداد⁽²²⁾.

ومن أمثلة مجالسة الحكام للعلماء ما ذكر من أن أبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي دخل على الرشيد بعد غيبة كانت منه، فقال له: يا أصمعي، كيف أنت بعدنا؟ فقال: ما لاقيني بعدك أرض، فتبسم الرشيد، فلما خرج الناس قال: يا أصمعي؛ ما معنى قولك: «ما لاقيني أرض؟» فقال: ما استقرت بي أرض؛ فقال: هذا حسن؛ ولكن لا ينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه، فإذا خلوت فعلمي، فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالماً؛ لأنه لا يخلو إما أن أسكت أو أجيب، فإذا سكت فيعلم الناس أنني لا أعلم إذا لم أجب، وإذا أجبت بغير الجواب، فيعلم من جوابي أنني لم أفهم ما قلت. قال الأصمعي: فعلمي أكثر مما علمته⁽²³⁾.

أما المعلم **عبد الله بن المبارك** فقد احتل مكانة خاصة في نفوس تلاميذه ومجالسيه لعلو منزلته في العلم والتقوى والورع، حيث أشار ابن خلكان إلى ما ورد في كتاب (النصوص على مراتب أهل الخصوص)، إن عبد الله بن المبارك لما قدم مدينة الرقة خف الناس طواعية لاستقباله حتى قالت أم ولد

لهارون الرشيد: هذا وأبيك الملك لا ملك هارون، الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان⁽²⁴⁾.

ولله دُرٌّ من قال:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلُ * كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا

إن منزلة المعلم عند هارون الرشيد عليّة سامية، حيث كان الكسائي والأصمعي، وهما من مؤدبي أولاد الرشيد، يقيمان بمقامه ويصنعان بصنعه، وهي منزلة يُحَسِّدَانِ عليها ووجاهة نالها بالمعلم⁽²⁵⁾.

ويقول مالك بن أنس - رحمه الله - : «دخلت على الرشيد فقال لي: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ، قال، قلت: أعزّ الله مولانا؛ إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعزّتموه عز وإن أنتم أذلّتموه ذل، والعالم يؤتى ولا يأتي، فقال الرشيد، صدقت، وقال للأمين والمأمون اخرجوا إلى المسجد حتى تسمعا مع الناس»⁽²⁶⁾.

وذات مرة قام المعلم العالم الكسائي ليلبس نعليه فابتدرها الأمين والمأمون فوضعاها على يديه⁽²⁷⁾.

وأشرف هارون الرشيد يوما على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعليه فابتدرها الأمين والمأمون وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما أن لا يعاودا .

فلما جلس الرشيد قال: أي الناس أكرم خدما؟ قال أمير المؤمنين أعزه الله. قال : بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون وحدثهم الحديث⁽²⁸⁾.

• من خصائص المعلم العالم في الإسلام:

إن مكانة العالم المعلم في الإسلام تقدر بقدر اكتسابه الخبرة وتنوع مصادرها، ومستوى من تتلمذ عليهم وأخذ عنهم، وكذلك حرص العالم

على صيانة العلم بِتَرْفَعِهِ عن الطمع، وعمله بعلمه، وأن يَصْدُقَ قوله فعله، فالعالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته عن القلوب.

ومن أدب المعلم في الإسلام حسن الخلق، والتواضع، والرفعة والحلم، وعدم الكلام بغير هدف أو معنى. العالم لا ينازع من فوقه ولا يظلم من دونه، والمعلم في الإسلام يوسع على الطالب طريق التعلم، ولا يقبح العلوم الأخرى التي لم يختص بها.

«ومن شروط أو مؤهلات المعلم التي لا بد من توافرها لدى من يرغب في ممارسة مهنة التعليم (أن يستكمل عدته ويشهد له بذلك أفاضل أساتذته وكبار علماء عصره، وأن يكون مهذباً متديناً متحلياً بالأخلاق النبيلة، حليماً وقوراً رفيقاً بطلابه متفرغاً لعلمه، » (29).

إن حالة العلم والعلماء متلازمان، فالمعلم يشقى إلى أن يصل إلى حقائق العلوم من أجل أن يقدم ما ينفع الإنسانية، ومن ثم أعطت الحضارة الإسلامية مكانة سامية للمعلم، مركزة على الأخذ بالأحسن، وتلك نزعة تقدمية في الإخلاص للحقائق التي عززها الإسلام بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (30).

إن المنهجية العلمية لدى معلمي وعلماء الدولة الإسلامية تتسم بالبحث والتمحيص والتأكد والابتعاد عن التقليد الأعمى والسطحية في فهم الموضوعات، فقد أكد الإمام الغزالي في كتاب (إحياء علوم الدين) أن من واجب المعلم ألا ينطق بما لا يعلمه، وأن لا يقلد أباه بضالاه مستنداً في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣١﴾ ومن هنا يتبنى العلماء العرب مبدأ الشك بقصد الوصول إلى اليقين.

إن مبادئ البحث والاستقصاء والتمحيص تُشكّل صلب الأسلوب العلمي الذي يستند إلى استخدام العقل في إصدار الأحكام واتخاذ المواقف واستخدام الذكاء، وقد أعطى الإسلام قيمة جليلة للعقل حيث ميّز به الله سبحانه الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، .

وما قسم للعباد شيئاً أفضل من العقل وما عُبد بشيء أفضل منه، وهو مع العلم لا نعمة أفضل منه. به تستخرج غور الحكمة وتنال ذروة العلوم. لقد جعل الله العقل زينة لخلقه ونورا لهم، ولذلك فهو أول سمة يتسم بها العالم والمتعلم، فبنعمته يكون رصينا دقيقا أميناً في إيصال المعرفة إلى الأجيال.

كان المعلم في الدولة الإسلامية باحثاً منقبا عن المعرفة الحقة، يشدُّ لها الرحال إذا اقتضاه الأمر، وكان لا يجيب بغير علم، ويجيب (بلا أدري)، والله أعلم، ، بدلا من إعطاء معلومات خاطئة، وذلك استنادا إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ (32) وذلك ما أجاب به الملائكة المقربون.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ " أَيُّ الْبَقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (لَا أَدْرِي) أَوْ سَكَتَ فَقَالَ لَهُ: أَيُّ الْبَقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: (لَا أَدْرِي)» (33). وهو الذي شهد له بالذكاء والفطنة، وكُلِّفَ بتبليغ رسالة السماء، وما إجابته إلا تأكيداً على دقة الإجابة العلمية.

وإن رسول الله ﷺ وصحبه الكرام، وهم علماء الأمة، وقادتها ومعلموها كانوا يحتاطون في الإجابة عن الأسئلة والمسائل، وكانت تملكهم الدقة،

وقد يثنيهم الحذر أحيانا عن الإجابة غير المؤكدة في عقولهم، والجواب بلا أدري أو الله أعلم، لا يعني كتمان العلم، ولا ينسب لصاحبه الجهالة، لأن الكمال لله وحده، بل يضيف على صاحبه وقار الصدق، وإجلال الحقيقة. لم يكن الطريق لطلب العلم سهلا ولا مفروشا بالورود، فالطباعة لم يكن لها وجود، والورق كان نادرا إن لم يكن مفقودا، ووسائل المواصلات لم تكن إلا الحصان والجمل. ومع ذلك لم يفتر المجتمع الإسلامي عن طلب العلم ومذاكرته، وفتح مغاليقه والتشيت من حقائقه. بل كان أشبه بخلية نحل دائبة الحركة مستمرة العمل تطلب الرحيق من الأزهار .

قال الكاتب الانجليزي (ولن) في كتابه (تجربة في التاريخ العام) ما يلي: «وكانت طريقة العربي هي أن ينشد الحقيقة بكل استقامة وبكل بساطة، وأن يُجْلِئَهَا بكل وضوح وبكل تدقيق، غير تارك منها شيئا في ظل الإهمال». فلا غرابة في أن نرى المسلمين قد مجدوا العلم إلى ما يقرب من درجة التقديس، وقد ورد على ألسنتهم كثير من العبارات التي تنمُّ على تعظيمهم للعلم واحترامهم للعلماء.

سئل ابن المبارك : «من الناس ؟ فقال : العلماء، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الترهء قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين» قال الغزالي تعقيا على هذا القول : ولم يجعل غير العلماء من الناس، لأنَّ الخاصة التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هي العلم.

وقال أبو الدرداء : «كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك ...». وقال الأحنف بن قيس : «كاد العلماء يكونون أربابا، وكلُّ عزٍّ لم يُوطَّد بعلم فالى الذلَّ مصيره..» وقال ابن المبارك : «عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة...»

• نشدان الحقيقة :

بهذه الروح العظيمة تقدمت الأمة الإسلامية وشقت طريقها في الحياة مجلية بين الأمم، وإنما تتقدم الأمم ويعظم شأنها إذا زحرت في ديارها بحار العلم ، واستحكمت عند أبنائها مذاهب التعليم وأصوله، وكثرت دُورُه ومعاهده، وتوفرت أسبابه، وشرفت مقاصده وغاياته.

أما شرف المقصد فيبدو في أن الإسلام أوجب على المرء أن يقصد من وراء طلبه العلم وجه الله تعالى، وهذا يعني أن يكون طلبه للعلم مجردا عن التعصب والهوى، خاليا من عنصر المراءاة، فيتزل على الحق أينما وجده، ويرجع إليه إذا وجد نفسه بعيدا عنه.

وقد دعا الإسلام إلى نشدان الحقيقة في المسائل العلمية عن طريق مأمون العثار . يقوم على المشاهدة والحس والإدراك الذي يقنع العقل ويطمئن إليه القلب، وحذر الإسلام متبعيه من أن يحكموا على الأمور حكما يقوم على الوهم والخيال، ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽³⁴⁾.

ولذلك كانوا لا يقيمون وزنا للرأي إلا إذا اعتمد على الدليل ، كما أنهم امتنعوا عن إجابة الأسئلة التي لا يعلمون الجواب عنها، قال داود الأودي قال لي الشعبي : «قم معي ها هنا حتى أفيدك علما بل هو رأس العلم قلت : أي شيء تفيدني ؟ قال : إذا سئلت عما لا تعلم فقل : الله اعلم ، فإنه علم حسن...»

وتأثرا بهذه التوجيهات وأمثالها فقد نشد المسلمون الحقيقة بكل استقامة لا يعيب الواحد منهم أن يقول: (لا أدري) إذا كان فعلا كذلك، أما إذا كان يدري فليس من أدب العلم أن يقول لا أدري، ويعتبر في هذه الحالة

مجانباً لأمانة العلم. قال النبي ﷺ : «مَنْ كَتَمَ عِلْماً مِمَّا يَنْفَعُ اللَّهَ فِيهِ فِي أَمْرِ النَّاسِ، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ»⁽³⁵⁾.

• دعوة علمية شاملة :

وقد يظن ظان أن العلم الذي حث على طلبه الإسلام وفرضه على الناس هو العلوم الدينية التي كانت العقيدة الإسلامية سببا في بحثها، كالتوحيد والتفسير والحديث والفقه واللغة العربية وما إلى ذلك، ولا يتعداه إلى العلوم الكونية والطبيعية، ولكن هذا الظن مجانب للحقيقة، ولا يستند إلى دليل. بل أن الدليل قائم على نقيضه لان الآيات والأحاديث الواردة في طلب العلم عامة تشمل العلوم الدينية كما تشمل العلوم الكونية، كالطب والفلك والكيمياء والرياضيات وغيرها من العلوم. التي تمكن الناس من الإفادة من الكون، والتي تمكنهم من الإطلاع على أسرار عظمة الله في مخلوقاته. ومما يلقي ضوءا على هذا الشمول.

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ * وَ مِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾⁽³⁶⁾.

والمدقق في الآيتين يجد أن كلمة (العلماء) فيها تشمل العلماء الذين يتأملون سنن الله ويبحثون في نظمه في الكون وقوانينه في الوجود، في الجو والجماد والإنسان والحيوان والنبات، والذين يدركون من خلال بحثهم وجود الله ووحدانيته وعظمته وقدرته وحكمته فيعظمونه ويقدرونه ويخشونه حق خشيته.

ومن المعلوم أن من ازداد به علما ازداد منه خوفا. وإن الإنسان لا يستطيع أن يدرك وجود الله ويؤمن بصفات الكمال والجلال التي يتصف بها، إلا عن طريق مشاهداته للكون وما فيه، من نجوم وأفلاك وأقمار، وجبال وسهول، وبحار وأهجار، وأشجار وأطيار وإنسان وحيوان ونبات. وكلما تعمق الإنسان في دراسة الكون ومظاهر الحياة وأسرار السموات والأرض، وما بين ذلك من علاقات وموافقات، وما يعترئها من تغيرات، تأكد لديه جود الله تعالى، وبدت له عظمته، وبالتالي رسخ إيمانه وزادت خشيتته.

ومن هنا جاءت دعوة الإسلام إلى العلم دعوة شاملة للعلوم الدينية والعلوم الكونية والطبيعية، فلم يكن غريبا أن يحفل المجتمع الإسلامي على مر العصور بالأفذاذ في كل علم وفن، فقد نبغ منهم الأطباء والمهندسون والفلكيون والرياضيون، الذين سجلوا انتصارات علمية باهرة، في الطب والهندسة والفلك والرياضة، وكانت انتصاراتهم مرتكزات علمية لمن جاء بعدهم، انطلقوا منها إلى آفاق واسعة من البحث والمعرفة والتجريب. فما أحوجنا في وقتنا الحاضر إلى انتفاضة علمية شاملة، تنفض ما تراكم على أذهاننا من غبار التخلف العلمي، وتدفع بتفكير جيلنا الحاضر إلى الأخذ بأكبر نصيب من المعرفة والعلم، فيتحقق لنا التقدم المنشود، لأن بالعلم يزداد الإيمان بخالق الكون والإنسان، وبالتالي يعم الأمن والعدل والسلام.



-
- (1) سورة البقرة ، الآية: 255.
- (2) سورة العلق، الآية: 1-5.
- (3) سورة البقرة، الآية: 269.
- (4) سورة آل عمران، الآية: 18.
- (5) سورة الرعد، الآية: 43.
- (6) سورة آل عمران، الآية: 7.
- (7) سورة الزمر، الآية: 9.
- (8) سورة آل عمران، الآية: 17.
- (9) سورة الرحمن، الآية: 33.
- (10) سورة المجادلة، الآية: 11.
- (11) سورة الزمر، الآية: 9.
- (12) سورة البقرة، الآية: 247.
- (13) سورة يوسف، الآية: 55.
- (14) سورة فاطر ، الآية: 28.
- (15) محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، دار طوق النجاة، ط1422هـ، ج1/ص24.
- (16) صحيح البخاري ، ج1/ص24
- (17) مسلم ابن الحجاج ، صحيح مسلم ، ت/محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ج2/ص1104.
- (18) رواه الترمذي في سننه: ج5/ص48، رواه أبو داود في سننه : ج3/ص317.
- (19) الزرنوجي، تاج الدين النعمان بن إبراهيم، تعليم المتعلم، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1921م، ص7.
- (20) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1/ص7.
- (21) عبد القادر محمد، القضايا التربوية في التراث العربي، من بحوث المؤتمر الثاني للتربويين العرب، بغداد، 1978م.

- (22) الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص16.
- (23) الأنباري عبد الرحمن بن محمد، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، 1978، ص96.
- (24) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3/ص183.
- (25) ابن سحنون محمد، أدب المعلمين، ت/حسن حسني، تونس، 1972، ص145.
- (26) الزرنوجي، الجواهر المضيئة، دار العلم للملايين، بيروت، [ب.ت.]، ص12.
- (27) مرسي أحمد سعد، تطور الفكر التربوي، ص185.
- (28) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج3/ص20.
- (29) شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن خلدون، ص46.
- (30) سورة الزمر، الآية:18.
- (31) سورة الإسراء، الآية:36.
- (32) سورة البقرة، الآية:32.
- (33) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ت/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1411 - 1990، ج1/ص167.
- (34) سورة الإسراء، الآية 36.
- (35) ابن ماجه أبو عبد الله، سنن ابن ماجه، ت/محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، [ب.ت.]، ج1/ص97.
- (36) سورة فاطر، الآية 27-28.